

جميلة

لا يعلم لماذا أنجذب إليها!! ولكن كان لديه ذلك الإحساس الملح برغبته فيها!، تضع الكثير من زينة الوجه ربما بشكل مبالغ قليلا، عندما كان يحاول التحدث إليها كانت دائمة النظر إلى الأرض، نادراً ما كانت تنظر إليه وهذا جذبه إليها أكثر، فكم هي أثوية تلك المرأة الغامضة الخجول!!

ولكنه كان دائم الشعور أن هناك سر خفى بحياتها!، كانت جديدة بالبلدة، قالوا إنها جاءت ومعها ابنتها، ولكنه لم يصادف أن رأى تلك الفتاة الأخرى بأى مرة، دائماً كانت وحدها مما آثار فضوله بحاسته البوليسية !!

امراءتان جاءا إلى البلدة مؤخراً، لا تظهر منهما سوى واحدة قليلة الكلام، غامضة والأخرى حبيسة المنزل!! ما هو السر الذى يجمعهما ويحاولان إخفاءه!!

حاول التقرب إليها بحكم عمله كشرطي بمخفر البلدة، وبنفس الوقت كان الفضول يكاد يقتله ليعرف قصتها، ولكنها لم تكن تعطيه الفرصة لذلك، كلما حاول فتح مواضيع معها أو الالتفاف عليها لتدعوه إلى منزلها يجد سداً منيعاً بينه وبينها، حتى ذلك اليوم الذى قرر دعوتها على العشاء بشكل مباشر، وافقت على مضمض بعد أن حاول تهديدها بلطف

أنه سيحول حياتها الى جحيم بحكم عمله ! لقد اضطر إلى ذلك حتى يجبرها على الموافقة، يريد التحدث معها، هناك الكثير من الأسئلة التي يريد أن يعرف إجاباتها ليروي فضوله.

جلسا بذلك المطعم الصغير ذو الإضاءة الخافتة بعد أن أصرت عليه كشرط للموافقة على دعوة العشاء، لا يزال، المهم أنها وافقت.

- انتي تثيرين جنون البلدة بأكملها، هل تعلمين ذلك؟؟

- أنا!!! لماذا؟؟ تساءلت وهي تتفادى النظر إليه.

- بسبب ذلك الغموض الذي يحاوطك أنتي وابنتك.

- ابنتي!! آه، أنت تقصد أختي.

- إذاً إنهم يخمنون، فلا أحد يعلم عنكي شيئاً! من أين جئتي؟ ماذا

تعملين؟ ولماذا أختك لا تخرج من المنزل منذ أن جئتما إلى هنا؟؟ بدا مندفعاً بأسئلته، أما هي فقد بدى عليها التوتر وأخذت في وضع يدها على صدغها، وتقوم بالضغط عليه بشكل غريب قبل أن تقول ببطء: اعذرني، عليّ أن أذهب إلى الحمام.

رفع حاجباه مندهشاً قبل أن يحرك كتفاة بلا مبالاة : حسناً..

تحركت ببطء شديد كما لو كان هناك شيئاً ما يكبلها واتجهت إلى الحمام لتختفي بالداخل، أشعل سيجارة وأخذ يراقب الدخان في شروذ منتظراً عودتها، ولم تعد إلا في منتصف السجارة الثانية!! كانت بكامل رونقها ولقد زادت من زينة وجهها ورسمت ابتسامة على شفاهها، وهي تعود لتجلس قبالتة:

- أسفة على التأخير.

يحدث في الجحيم

- لا عليكى، ماذا تريدين على العشاء

- فقط حساء.

- ألا تريدين أي شيء آخر!!

- لا، لست جائعة.

عقد يده أمامه بعد أن أبلغ طلبه للنادل وأخذ ينظر إلى وجهها متمعنًا بشكل جعلها تتوتر وتعود للخلف محاولة الاختفاء بالظل بعيدًا عن الإضاءة.

كان يراها جميلة، فقط لو تتركة يمسح عنها كل تلك الزينة السخيفة التي تلون بها وجهها!

- قاطعت أفكاره فجأة: أنا أعمل طبيبة، ولكنى تركت المهنة منذ فترة بسبب ..، توقفت قليلا كما لو كان هناك ذكرى تداعب خيالها قبل أن تكمل: بسبب حادث تعرضت له جعلنى أتوقف عن مزاوله المهنة، أنا اسمى جميلة، الناس هنا ينادوننى باسم عائلتى ولا أحد يعلم اسمى، أما أختى فهى مريضة، لذلك لا أقوم بإخراجها من المنزل، لقد انتقلنا للبلدة هنا توفيرًا للمال، كنا نبحث عن منزل صغير ومكان يمكننا الحياة به فى حدود تكاليف أقل، لا يوجد شيء غامض، فقط أنا لا أحب الاختلاط بالناس؛ لذلك أبدو بالنسبة لهم غامضة. توقفت عن الكلام فجأة كما بدأت فجأة. كان كلامها يبدو منطقيًا ومقبولاً، ولكنه كان منطقيًا زيادة عن اللزوم بشكل أثار ريبته، لا يعلم لماذا يشعر أنها تخبئ شيئاً لم تفصح عنه وسط حكايتها البسيطة، لا يمكن أن يكذب حدسه كضابط شرطة حتى لو كان منجذباً إليها.

- لم تخبريني ما هو الحادث الذي أبعدك عن مزاولتك مهنتك؟؟

- لا أريد التحدث بذلك الأمر، لقد كان الأمر مؤلماً ولا أريد الخوض في الحديث عنه.

جاء النادل ليضع الطعام أمامهم، كان الحساء ساخناً تتصاعد منه الأبخرة فابتعدت بوجهها عنه بحدة.

- ماذا حدث!! تساءل بدهشة، هو متأكد أنها لم تلمس الحساء!!

- بعذر منك، سأذهب إلى الحمام. قالتها وهي تتحرك في سرعة مبتعدة ليراقبها وهي تختفى عن نظره المندهش، هو يعلم أن النساء لديهن هوس بزيتنهم، ولكن ليس لدرجة الذهاب للحمام بمعدل كل عشر دقائق ليختفوا بالداخل ضعف الوقت!!

بدأ في تناول طعامه بنهم، فهو لم يتناول شيئاً منذ الصباح.

فجأة لاحظ شيئاً غريباً بطبق الحساء خاصتها، كما لو كان شيئاً يطوف على سطحها، أشار إلى النادل فأق سريراً ليخبره أن يبدل ذلك الحساء وأن يحافظوا على نظافة الطعام أو سيضطر للتصرف معهم بطريقته الخاصة! بدى الشاب مندهشاً وهو يحمل طبق الحساء مبتعداً وهو يعتذر.

جاءت أخيراً وقد أخذت وقتاً أطول تلك المرة!

- آسفة.

- لا عليكى، ولكن هل تتخذين الحمام حماية منى مثلاً؟ أو تريدين تضييع الوقت دون الجلوس معى؟؟ سألها بلؤم

لم تنظر إليه ولم تجبه ولكنه استرسل قائلاً بلطف مصطنع: أنا لم أكن أريد إجبارك على الخروج معى، ولكن رفضك المستمر جعلنى أفعل

ذلك حتى توافقي، أنا لست سيئاً كما تعتقدن، أرجو أن تعطيني فرصة للتقرب إليكي ولا تحاولين الهروب مني.

- أنا.. اااا، يجب ان أعود إلى المنزل الآن، لا يمكنني ترك أختي وحدها كل هذا الوقت.

- حسناً.. كما تريدين، ولكن عديني أولاً أنك ستعوضيني بموعد آخر.

- آآ حسنا. هل نذهب الآن؟

أشار للنادل ليحضر له الحساب ولكنه أخبره أن مدير المحل قد اعتبر العشاء هدية كاعتذار عن الحساء. بدا راضيًا وخرج خلفها وقد سبقته للخارج .

- لماذا تضعين يدك على وجنتك هكذا؟ تساءل متعجبًا

- إنها حركة لا إرادية عندما يصيبني ألم الأسنان، اعذرني، يجب أن أذهب الآن، إنها المرة الأولى التي أترك بها أختي وحيدة كل هذا الوقت.

- سأسير معي حتى المنزل.

- ولكن...

- لا يوجد لكن، أنا مصر، إذا كنتي لا تريدين التأخير فعليكي بالموافقة لأنني لن أراجع.

سارت بجانبه وهي تنظر للأرض، ملفحة رأسها بذلك الوشاح الأسود كملابسها ويظهر شعرها الأسود لامعًا من تحته محاطًا وجهها، شاحبة، ترسم عيناها بكحل أسود يعطيها طلة مشيرة، إذا لم يكن عصر الساحرات انتهى لشك أنها ساحرة!! مازال لديه الكثير من الأسئلة ولكنه سينتظر الوقت المناسب عندما يستطيع اختراق ذلك السور الذي تحاوط به نفسها.

كان المنزل قريبًا من المطعم؛ لذلك لم يتخذ الطريق أكثر من عشر دقائق تبادلوا بها كلمات قليلة، بل كان يتحدث وهي تكاد تجيب بكلمة واحدة، ولكنه أرجح ذلك بما تعانية من ألم بأسنانها!

وصلا إلى باب المنزل فالتفتت لتوديعه، ولكنه أصر على الدخول معها!!

- لكن... قالتها وقد بدا عليها التوتر

- فقط دقائق قليلة، سأطمئن عليكى ثم أذهب.

كان يعلم أنه يضغط عليها، وربما يبدو لزوجًا، ولكنه لم يستطع كبح فضوله من فرصة رؤية المنزل والتعرف الى أختها.

سمحت له بالدخول واعتذرت للذهاب إلى الحمام! تركتة ليجلس منتظرًا، عندما اختفت بالداخل وقف متجولا لينظر حوله، كانت الإضاءة خافتة جدًا بالمنزل، أثاث بسيط ولكنه جميل، كان هناك صورة وحيدة صغيرة ببرواز على المنضدة الركنية، اقترب لينظر إلى الصورة بوضوح أكثر، كانت هي بالصورة، نفس ملامحها ولكن العينان مختلفتان، عينان زرقاوتان وشعر كستنائي، تبدو أصغر سنًا وجوارها فتاة فارعة ليست بنفس القدر من الجمال بشعر أسود حالك ونفس الجسد تقريبيًا!! أمسك بالصورة ليقرّبها منه عاقدًا حاجبيه، شعر بحركة خلفه ليلتفت قبل أن يجفل!! كانت هناك فتاة تقف عند باب الغرفة ينسدل شعرها الكستنائي على كتفها مشعثًا وترتدى على وجهها قناعًا يداريه، بالكاد تظهر عيناها الزرقاوتان من خلفه، كانت نحيفة ترتدى رداءً واسعًا وترنمى يداها بجانبها وقد مالت برأسها قليلًا محدقة به.

لجمته المفاجأة وهو ينظر إليها مصدومًا قبل أن تقترب منه ببطء جعله يتوجس وبحركة لا إرادية أخرج مسدسه!!

- من أنت؟؟ قالتها الفتاة من خلف القناع ببراءة
- قلّ توتره ليبعد يده عن المسدس واضحاً إياه على الأريكة بجواره
قائلاً: هل أنتى أخت جميلة!!
- أنا أختها الجميلة. قالتها قبل أن ترددها مراراً وتكراراً!
- يبدو أنها تعاني من مرض عقلي. قالها محدثاً نفسه، ولكن ما لفت
نظره تشابهها بتلك التى بالصورة، ولكن بالصورة ملامح جميلة!!
- أراك قد تعرفت بأختى، مي. قالتها جميلة بهدوء، كانت قد أزالّت
الوشاح عن رأسها لينساب شعرها الأسود محاوّطاً وجهها ورقبتها بنعومة
زادتها بريقاً وشحوباً.
- لم أكن أعلم أنها...
- أشارت له كي لا يكمل قبل أن تربت على كتفها بلطف قائلة : اذهبى إلى
غرفتك يا حبيبتى.
- هل أحضرتى لي وجهاً كما وعدتيني؟؟
- ههشششش، اذهبى إلى حجرتك الآن فهناك غريب بيننا.
- وجهت الفتاة نظرها إليه قبل أن تتحرك فى استسلام مبتعدة.
- أنا آسف حقاً، أقدر الآن مدى الألم الذى تشعرين به والمسؤولية
التى تتحملينها وحدك. قالها وهو يقترب منها ليلمس يدها فى لطف،
ولكنها ابتعدت بتوتر قائلة : أعتقد أنه عليك الذهاب الآن.
- لماذا تصرين على التهرب منى!! أنا أريد مساعدتك، أستطيع مشاركتك
تلك المسؤولية، لست مضطرة أن تظلى وحيدة.

يحدث في الحجم

أغمضت عيناها في تأثر ونزلت دمعة منها غضبًا، مد يده ليمسحها عنها فإذا بها تتعد عنه كالمسوعة عندما لمسها قبل أن تقول بتوتر : بعذر منك، يجب أن أذهب إلى الحمام .

- لن أسمح لكي بالهرب مني. قالها وهو يمسكها من ذراعها قبل أن تتعد .

- أنا أعلم أنكى تتخذين الحمام حجة للهروب من أسئلتى أو من تأثيري عليكي، لماذا تحاولين صدي بهذا الشكل !!
- أرجوك، اتركني لأذهب .

- لن أتركك تهربين من بين يدي، أنا أريدك منذ اللحظة الأولى التي وقعت فيها عيناى عليكي، أنتى جميلة، بل تملكين جمالاً مميّزاً هل تعلمين ذلك؟؟ قالها وهو يقربها إليه أكثر ناظرًا بعمق في عيناها السوداوين. بلعت لعابها بصعوبة وهى تشعر بالضعف تحت ضغط كلماته المعسولة ولمسته لها، لم يلمسها أحدا بهذا الشكل من قبل!! غضبًا عنها شعرت بالوهن، أغمضت عيناها وتركتة يلثم شفاها وهى تستمتع بذلك الشعور الغريب عليها!!

شعر بطعمًا غريبًا في فمه، هناك شيء ما خطأ!! فتح عيناها ليصعق مما رأى!! لقد كان لحم وجهها ظاهرًا من جانب فمها وقد انزاح الجلد عنها كما لو كان قناعا بشريًا!! ابتعد عنها مصعوقا وهو يحدق بها وهى مغمضة العينين كما لو كانت قد ذهبت في حلم بعيد، قبل أن تتبته لابتعاده عنها، لمست وجهها بيد مرتعشة قبل أن تصرخ فجأة ليزداد الأمر سوءًا وترفض لتختفى بالداخل!!

بدأ عقله كشرطي يعود إليه وهو يفكر سريعاً، كيف هذا؟! ما هذا الشيء؟! أمسك بالصورة مجدداً محملاً بها قبل أن تبدأ الخيوط تترايط برأسه، إصرارها على الابتعاد، الأضواء الخافتة، أختها ذات القناع، الصورة ! ركض باحثاً عن مي، ليفتح باب غرفة مغلقة فيجدها بالداخل تجلس على الفراش وتنظر إلى صورة يدها!!

رفعت رأسها إليه قائلة : أنا أختها الجميلة، انظر.

كانت الصورة يدها هى نفس الصورة التى بالخارج، أشارت إلى الفتاة ذات ملامح جميلة قائلة : انظر، إنها أنا..

رفع نظره إليها قبل أن يقترب من القناع الذى تضعه ليرفعه عنها بتردد، وقد هاله ما رأى!! كانت دون وجهه!!!!!!!

انتفض مبتعداً وقد وقع القناع على الأرض

- تملك وجهاً جميلاً. قالتها وهى تقترب منة ببطء وتلمس وجهه يدها فى رقة

-ابتعدى عنى. قالها صارخاً قبل أن يضع يده باحثاً عن مسدسه، ولكنه تذكر أنه تركه بالخارج!!

- لم أكن أريد لذلك أن يحدث، الآن بعد أن علمت بالسر لا يجب أن تخرج من هنا لتخبر به الناس.

التفت ليجد جميلة واقفة عند باب الغرفة وقد تماكنت نفسها وأصلحت وجهها وتحمل مسدساً يدها وتصوبه إليه !!

- ما الذى ستفعلينه!! قالها متسائلاً بخوف وهو يتراجع خطوة لا إراديةً وهو ينظر حوله فى محاولة للتفكير فى مخرج من بين برائن تلك المعتوهة.

- إنت كنت تريد أن تعرف كل شيء، سأخبرك بما أثار فضولك كل تلك المدة، أنا ومي أختان شاء القدر أن يفرق بينهما، فمي كانت جميلة جداً، ولكنها كما ترى مريضة عقلياً، أما أنا فاسمى جميلة، ولكن لم يكن لي نصيباً من اسمي! لقد افتقرت للجمال الذي تمتلكه أختي، كان جميع الشبان يتقدمون لها وعندما يعلموا بمصاها لا يفكرون في تلك القبيحة أختها، حتى جاء ذلك اليوم الذي زادني بشاعة عندما قامت مي بإشعال حريق بمنزلنا، لم يصيب جمالها شيئاً، ولكن توفى أبى وأمى وتشوه وجهي، لم يكن ينقصني سوى ذلك! كنت أحقد عليها قبل الحريق بسبب جمالها وحققت عليها أكثر بعده بسبب ما حدث لي! كان يجب أن تدفع الثمن، بحكم مهنتي بحثت ودرست كثيراً حتى توصلت لطريقه لأستطيع بها نقل وجهها لي دون أن يصيبه التعفن، أمور طبية معقدة سأحلك من الاستماع إليها، ولكنه كان حل مرضي بالنسبة لي لأستمتع قليلا بما حرمت منه طوال حياتي، نظرة الإعجاب، ولكني ما زلت أعاني الحرمان لأني لا أستطيع أن أجعل أحدهم يقترب مني، كلما شعرت أني سأضعف بعلاقة ما انتقل لبلدة أخرى لا يعرفنا بها أحد . لقد كتب علينا أن نظل أنا وهي مرتبطان الى الأبد.

شعر بالصدمة من كلامها ولكنة حاول التغلب على ذلك وهو يقترب منها ببطء قائلاً: إنتى مخطئة، عندما لمستك كنت أشعر بالسعادة، أنا أريدك، وعلى استعداد لإكمال القصة معك لنصل بها الى نهاية سعيدة.

- توقف . قالتها وهى تشير له بالمسدس بيد مرتعشه، وقف لثانية ولكنه شعر بتأثير كلامه عليها فأكمل بخطوات واثقة مقترباً منها : أنتى تريدني كما أريدك، لقد شعرت بذلك عندما كنت أقبلك، أنتى تعلمين جيداً أنى مختلف عن أي من هؤلاء الذين قابلتهم من قبل، أنتى تشعرين بذلك بداخلك.

كان قد وصل إليها الآن ليمسك بيدها بلطف ساحبًا منها المسدس، وقد خارت قواها ودمعت عيناها التي امتلأت بالأمل أثر كلامه.

صوّب المسدس إليها لتفيق من أحلامها على أرض الواقع فجأة وهو يتتعد خطوتين إلى الخلف بعصبية : أنتى مكانك بالمصحة النفسية مع أختك، أعذك أنكما لن تفترقا هناك أبدًا حتى الموت.....قبل أن ينهي جملته كانت قد أصابته ضربة قوية على رأسه من الخلف، تلاها أخرى، ثم أخرى حتى اندفعت الدماء غزيرة من رأسه واسودت الدنيا بعيناه.

- كفى. قالتها جميلة صارخة فابتعدت أختها عنه جافله وأوقعت من يدها ذلك التمثال الثقيل الذى ضربته به!!

اقتربت جميلة منه ببطء لتجده قد فارق الحياة نظرت إلى أختها التى ركضت فى خوف وجلست على الأرض وتقوقعت على نفسها بجانب الفراش تراقبها بعيون ذاهلة.

اقتربت منها بعيون دامعة وأخذت القناع الواقع على الأرض بجوارها لتعيده إلى وجهها بلطف قائلة : شكرًا لى يا عزيزتى، لقد أنقذت حياتى.

- هل ستجلبين لى وجهًا الآن!! تساءلت الفتاة ببراءة

- نظرت جميلة إلى جسد الشرطى نظرة ذات مغزى وهى تجيب سارحة : حسنًا، ولكن يجب أن تعيدىنى أن تلعبى بالوجه الجديد بداخل حجرتك فقط، لا يجب أن يراه أحدًا حتى لا يأخذه منك، فلتخبأينة كما كنتى تفعلين دائماً مع الوجوه التى أجلبها إليكى، حتى أبحث عن منزل جديد لنا.

- ووجه جديد. قالتها الفتاة ضاحكة وهى تصفق بيدها فى سعادة طفولية.

يحدث في الحجم

- ووجه جديد. قالتها جميلة مؤكدة وهي تبسّم قبل أن تلمس رأسها بحب وتتحرك لتجر جثة الشرطى خارجًا بصعوبة بسبب ثقل جسده تاركة آثار الدماء على الأرض مكان السحب!

أخرجت مي ذلك الصندوق من تحت الفراش وفتحتة ببطء ليظهر أمامها عدة وجوه مسلوخة تم صنعها بعناية من جلود بشرية، أخرجتهم لتربت عليهم قائلة : هناك وجة جديد قادم إليكم بالطريق، هدية من أختي لأختها الجميلة.- أنا أختها الجميلة، أنا أختها الجميلة، وأخذت ترددها مرارًا وتكرارًا !!!!!

تمت

ديانا حسام الدين